غير المرئي في شخصية علي الوردي وغريمه

الزنابق تورق في بغداد

عامر القيسي

حجر في افواه من قالوا ويقولون الآن ان بغداد قد سقطت والموت نهض والقذائف سمقت والرصاصات طارت بديلا عن الحمامات .
ها هي بغداد بزنابقها الجميلة الفوّاحة تنهض وتورق من بين الرماد والظلام والموت السري الذي يفاجئك في الشارع والرصيف والحلم ، ينثره قتلة الفرح العراقي وسر مستقبل هذا البلد الجميل .
بغداد تتكلم وتغني وترقص وتطلق حمامات السلام في فضاءات الدخان ورائحة البارود وايقاعات الهاون !
بغداد ترسل الرسائل المستحيلة لكل المتحججين والمترددين والحاقدين والمنتظرين والنائمين والمستسلمين والخائفين ، ان بغداد تفتح ذراعيها لرسل السلام وبناة المستقبل وشعراء الحقيقة والاصوات الصادحة بالحرية المحلقة في سماوات العراق الجريح .

بغداد تخطو يوميا خطوة شجاعة الى الامام وهذا المهرجان الذي جاء من خلف الحدود لاهثا نحو الوطن في اربيل واخيرا حطّ رحاله في ميلاده السادس في بغداد لدليل على سلامة قولنا

بغداد تفتح مضايفها لاهلها واصدقائنا واشقائها ، ان هلموا الىّ فان الجراح صغرت والاغاني انطلقت والموت والظلام يندحران الىّ جحور مؤسسيها ومطلقيها وصانعيها وملفقيها !
بغداد تعلن عن نفسها ايها السادة خائضة في دروب الحرية الحقيقية بعد ان خرجت من اقبية الاستبداد وسلطة الرذيلة مضرجة بدماء الشهداء الفقراء واليوم تسير بهذا الجسد المضرج وطعنات الاشقاء، ايها السادة ، اكثر ايلاما من طعنات الارهاب .
بغداد تخطو يوميا خطوة شجاعة الى الامام وهذا المهرجان الذي جاء من خلف الحدود لاهثا نحو الوطن في اربيل واخيرا حطّ رحاله في ميلاده السادس في بغداد لدليل على سلامة قولنا .
بغداد العراق من زاخو الى الفاو ومن الاهوار الى قمم قنديل مرورا بشجعان رجال صحراء الحقيقة الذين يسروا لبغداد ان تقيم عرسها هذا .
ايها المتباكون لاتخافوا على بغداد واهلها فنحن ادرى بشعابها وجراحها وبلسمها ووردها واحزمة الموت فيها القادمة من كهوف الماضي البعيد .
ايها السادة ، بغداد تنهض وتورق زنابقها فحيوها وغنوا لها فهي تاج العرب ورفعتهم ومستقبلهم ونقول للجميع: انظروا الى العرب من دون العراق وتفكروا !!

ضمن اسبوع المدى السادس، غرضت مسرحية (علي الوردي وغريمه) وهي من تأليف وإخراج أ.د. عقيل مهدي يوسف.
تتخذ المسرحية من شخصيته الكاتب والمفكر الاجتماعي علي الوردي محوراً اساسياً للمسرحية، وذلك لاهمية وحضور علي الوردي باحثاً اجتماعياً شعبياً –ان جاز التعبير– حاول المؤلف في هذه المسرحية طرح السؤال الآتي: ما الذي كان سيفعله الوردي– الآن– لو كان حياً؟ كيف ستتحرك افكاره، واجتهاداته وهو المتابع الجاد لتأثيرات البداوة، على الحواضر المتمثلة بالعاصمة والمدن؟ الذي سيقوله عن الممارسات التدميرية، والانتهاكات التي يتعرف اليها الفرد العراقي؟
بمثل هذه التساؤلات كان يمكن فهم شفرات العرض المسرحي وكشف غوامضه واسراره، والتي تصدر عن رموز عدة منها ما يحيلنا إلى تواريخ سياسية واجتماعية ومنها ما يتعامل مع مفهوماتنا المختلفة عن المقدس والدين والاخلاق، او ما يذكرنا بتيارات عصرنا الصاخبة وعصفها المدمر الذي وفد الينا وانتقل بتصميم عالمي مدروس للشخصية العراقية، ولكن من نمط مبتكر يجعلنا نفكر مع سرائرنا، ما الذي انت فاعل اليوم يا علي الوردي؟ او لنستثمر هذا الرأسمال الرمزي لفكر الوردي الاجتماعي، وهو يتعرض لما يتعرض اليه (الفرد) العراقي من صراعات دراماتيكية عصيبة، ونجعله في قلب الصورة ليكون فاعلا في صياغة عناصر هذا المشهد العراقي الجديد.
وفي دوامة الصراع المفترض والواقعي، لا بد من الوقوف عند السؤال من يمتلك الحق اذن؟ الكل ينافح عن حقه الشخصي، الخاص، وهو لا يرى الجسم الغاطس من جبل الجليد، الذي يؤثر في مفهوماته الحقيقية (للمعاني) فيتوهم ان (حقه) المزعوم هذا هو الحق الموضوعي بعينه، هو الملزم للاخرين، بالاذعان إلى منطقه الوحيد والثابت الازلي وعلى الاخرين، الذين هم دائماً، معاقون وقاصرون لا حول لهم لا قوة، ان يصلحوا مواقفهم ويتنازلوا لصاحب هذا الحق الاعظم، وكل حزب بما لديهم فرحون.
هنا أراد الوردي ان يلتقط المقياس لانه ميزان تفضيلاتنا او نبذنا الافكار والمواقف والاحداث فنبدي عين الرضا لما يرتضيه (مقياسنا) للخير والشر وليس لانه خير بطبيعته او شر.
ولكن ما الذي يترتب على هذه الحالة، وما ينتج عنها؟ من هذه الحالة ينبع العصاب، من هذه الحفرة الجهنمية وتتهاوى الدكتاتوريات وتفرخ النازية والفاشستية والانظمة الشمولية، وتمنح للاجرام والتهور والنذالة، شارات المجد والبطولة والقداسة.
في صلب العمل المسرحي، فرز علي الوردي، غريماً له واسماه (علي) وحتى يعرف به اعطاه صفة (ملة عليوي) ليرجعه إلى مصدره المعروف به، وهو القرون الوسطى بظلاميتها، وفهوليتها وجمودها المقبري، هذه الازدواجية تبقى فعالة بضرواة من داخل اطار شخصية هذا الفرد او ذاك، فتراه متقلب الاطوار لا نواة له، ولا قدرة على ادارة دفة صراع شخصيته مع نفسها، ومع العالم، فينحدر مع امواج متلاطمة لا قرار لها، ولا هدف تسير نحوه.
اراد الوردي ان نوافق طبيعتنا البشرية، لامن خلال الوعظ والارشاد بل بتفهم دوافعها الحقيقية وبفضح عاداتها الخاطئة، وبتعزيز القدرة على مواجهة الذات، وتنميتها وفق زمنها، الذي تعيش فيه والا تنعزل عن التطورات في العالم، والا تدعي كمالا مزعوما لا وجود له بل هي مشروع قابل للانفتاح على المدخلات الاخلاقية الحرة، بلا وصاية الراسخين في العلم، زوراً وبهتانا.
علي الوردي في العرض المسرحي يدرك نفسه انساناً فيه من العقل بقدر ما فيه من الجنون وفيه من الايمان بقدر ما فيه من الشك وذلك لانه فرد يتعرض مثل غيره لقيم اجتماعية، متناقضة وعليه ان يختار قيماً اكثر تعبيراً عن حريته، وآماله، المستقبلية ومغادرة مقاييس الفحولة، التي لا ترى وسيلة للحياة سوى قتل الاخر وتدميره وانتهاك حرماته.
بخلاف ذلك يتحول (البطل الوردي) المضاد في العرض، وهو (غريم الوردي) إلى كائن من نمط جامح عجيب، ومرقعة من اشلاء متحجرة شتى، وهامة مقبرية لا ترتوي من الدماء، وهي تزهق ارواح العباد، من غير ان يرف جفن لها لانها كما تتوهم تعبر عن العناية المطلقة والمشيئة الكونية التي لا راد لها من قبل البشر الخطاة عاثري الحظوظ.
هو وحده هذا (الغريم) من يملك مفتاح الشدة او الفرج، هو العليم الذي لا شك في علمه واحكامه وشرائعه وسواه، هو المرشح للقتل، والرضوخ والرمي بالحجارة والخنق والحرق والابادة العنصرية.
هنا ايضا تنقلب المعادلة، فالغريم يرى في السلام تهديدا لأمنه الشخصي وخطراً على عقيدته ومسحا لا سمة من لائحة الوجود.
وتصبح الاغاني والمفهومات الانسانية، لغواً وغواية من الشياطين، وشيطان الوردي المدعو (عليوي) لانه سليل التخلف والمرض والبدائية والتوحش، لا يرى في العالم سوى مذنبين، خطاة ينبغي ازهاق ارواحهم، وهدر دمائهم على مذبح مقياسه اللعين: للخير والشر، ذلك لانهم من الشياطين ، وللوردي رأي آخر، فلا خير في انسان تعرض في حياته لتصرفات منحرفة عن معنى الوجود، ذلك لانه تربى على تمجيد الحروب والطغاة، وتعرض منذ صغره للاحتقار والنبذ والمذلة وحين شب وكبر، حقد على العالم برمته، وتخيل ان حقده هذا، هو حقد مقدس، ورسالة كونية ينبغي ايصالها إلى الناس اجمعين، وقتل من يشذ عن معياره بوسائل شتى من التدمير، ويكفيها ان تضع أي مسحوق او قناع لتسويغ افعالها الجرمية، المنافية لمبادئ العدالة او حقوق الانسان.
كشف المؤلف والمخرج الدكتور عقيل، في هذا العرض من ملامح البطل وغريمه، بحوار لا ينبو عن النسق الفكري واللغوي لـ(الدكتور علي الوردي) ورسم الصورة المتفجرة لهاتين الشخصيتين اللتين لم يرد ان تكون احداهما ضد الاخرى، بل الواحد منهما نتاج للآخر، من هذا (الموتيف) حلق د.طارق حسون فريد، ليرسم خريطة لحنية، بصورة سمعية تقرب غير المرئي، لتجعله مرئياً، ومحسوساً، وعلى خلفية اداء الدكتور حسين علي هارف لشخصية (علي الوردي) بزيه الذي يصبح علامة لا تكتفي بنفسها بل تفتح على نفسها دلالات جديدة، وعلاقات مؤشرية ورمزية أخرى، تعمق من الدلالة الدرامية، في معالجتها المسرحية لشخصية البطل على هذه الخلفية برزت شخصية القرني،الظل، القابع في قعر العالم السفلي بطل الخليقة الشيطانية، (الملة عليوي) الذي جسده فكراً، وروحاً، وجهداً، خرافياً، الفنان خالد احمد مصطفى، واجاد صنع عوالم من الوحشية والقسوة لم يعهدها العراقي، بمثل هذا الطغيان المنفلت في تاريخه المعاصر. وأطرت هذه الصورة الدراماتيكية، رؤية السينوغراف الدكتور المبدع نجم عبد حيدر، لنقل عالم الحكاية إلى صور واشكال والوان وحجوم ويشاطره بالضوء واللون والفنان علي السوداني، بمهاراته الحرفية وتخيله الفني لفضاء المشاهد وقدرته على تتبع التحولات المشهدية منذ الاستهلال حتى الخاتمة.

فيلم "تقويم شخصي"

يواجه الاختلافات السياسية بالفكاهة

محمد مزيد

شارك الفيلم القصير التسجيلي "تقويم شخصي" في اسبوع المدى الثقافي السادس.
وضع له السيناريو واخرجه الفنان الشاعر بشير الماجد.. بمشاركة مجموعة من الفنانين .. وقد نال الفيلم استحساناً واعجاباً كبيرين .. التقينا الماجد وكان معه هذا الحوار:

•كيف جاءتك فكرة الفيلم.

– راودتني الفكرة قبل سنتين ، وكانت في الحقيقة مشروع تخرجي (اطروحتي) في كلية الفنون الجميلة .. وقد نالت درجة طيبة من بين ماقدم من اعمال سينمائية.

•ما الرؤية الاخراجية التي اعتمدتها في الصياغة السينمائية؟

– عبر الفيلم عن مجموعة من الرؤى .. من بينها رؤيتي الخاصة للاوضاع السياسية والاختلافات فيما بين السياسيين .. ذهبت الى الواقعية الرمزية لانها بأعتقادي تمنح المتلقي قدراً كبيراً من قراءة مابين السطور..
والاشارات المبثوثة في الشريط تحيل المشاهد الى تصور حجم الدمار والموت في العراق.

•أيمكن تلخيص فكرة الفيلم؟

– هناك حافلة تقل مجموعة من الناس من منطقة الى اخرى .. هؤلاء الناس يختلفون في مسألة وهي هل يومه الذي يعيشه هو الاحد او الاثنين او الثلاثاء .. الخ .. تتصاعد الخلافات حتى صعود اخر راكب الذي كان يتوقع هؤلاء الناس انه سيخبرهم بالحقيقة وعندما سألوه فقال "الخميس" ... مخالفاً تماماً لكل توقعاتهم .. فيقول الممثل علي داخل .. "ربطت"!

•كيف استطعت انتاج الفيلم؟

– استطعت التحرك في بقعة قصيرة من الوطن مساحة فيلمي السينمائي محددة بـ٣٠٠ متر فقط.. هي ذهاب ومجيء الباص .. بزمن قياسي استغرق (٤) ساعات استطعنا اتمام تصوير الفيلم..

•لماذا كانت الحافلة تحمل عبارة "باص مدرسة"؟

– الناس في الحافلة هم طلاب الحياة .. ولعل وجد المفارقة في ذلك .. وتقدم الحافلة الى الامام يومي بأستمرارية الحياة.

❖ انت شاعر .. هل استفدت من طاقات الشعر في صياغة الفيلم؟

– مكنني ذلك من ايجاد الزخم السينمائي الذي كنت بحاجة اليه .. حيث كنت وانا اكتب الفيلم كأني القي بقصيدتي الى الجمهور.

❖ ما الجوائز التي حصل عليها الفيلم؟

– شاركنا في مهرجان الخليج السينمائي وحصل الفيلم على الجائزة

مصور الاسبوع الثقافي
صبام العاني

بريشة قاسم حسين